

٧
٧

١٤/٢٧
ISSN 0970-3713

ثقافة الهند

Vol. L No. 3 1999

المجلد ٥٠ العدد ٣

١٩٩٩م



المجلس الهندي للعلاقات الثقافية

العلاقات الهندية العربية من خلال الأدب العربي الحديث

بقلم: د/الحافظ سيد بديع الدين الصابري

إن الهند كانت لها اتصالات تجارية و حضارية مع البلدان العربية منذ أحقاب طويلة بل منذ بداية الحياة الانسانية على الأرض قبل تدوين التاريخ، لأن الأرض التي أنزل عليها سيدنا آدم عليه السلام هي أرض الهند و جعلها الله دار خلافته فروى عن ابن عباس رضى الله عنهما: "أهبط آدم بسرنديب من الهند واضعاً يده اليمنى على اليسرى و حواء بجدة" (١) و كذا قال الإمام الغزالي، و قال الشيخ جلال الدين السيوطى في الدر المنثور: "أخرج ابن أبي حاتم عن على رضى الله عنه قال: خير واد في الناس وادى مكة و واد نزل به آدم بأرض الهند" (٢) و نزل جبرئيل عليه السلام أولاً بالهند فأخرج ابن جرير "عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: إن الله أوحى إلى آدم و هو ببلاد الهند أن حجّ هذا البيت فحجّ" (٣) فهو أول من قصد إلى الحرم المكى.

و قال الامام الغزالي: كان قتل هابيل على جبل بوز - جبل من جبال الهند - و روى عن ابن عباس رضى الله عنهما: و بجبل بوز بخر نوح (عليه السلام) السفينة (٤)

و قد اتفق المؤرخون على أن التبادل التجاري بين الهند و العرب بدأ منذ زمن قديم و بفعل هذه العلاقة كانت اسماء الأشياء التجارية مشتركة بين

الشعبيين من مثل القرنفل و الزنجبيل و نارجيل وغيرها و نقلت أسماء العلوم الهندية من الفلكيات وغيرها و أسماء الالعب مثل الشطرنج إلى العربية كما كان لفظ الشطرنج مجهولا في العربية و الفارسية قديماً فأدخل فيهما من الكلمة السنسكريتية "جترنغا" او "جترنغ".

و كان العرب على معرفة تامة عن الهند و أدواتها قبل الاسلام، و كان الشعراء يذكرون سيوف الهند كثيرا في أشعارهم، لأنها كانت تعتبر أجود السيوف فأنشد كعب بن زهير صاحب قصيدة "بانت سعاد" بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم.

إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

و قال الجوهري في الصحاح: المهند: السيف المطبوع من حديد الهند، و يروى أنه قال أولا: مهند من سيوف الهند فغيره النبي صلى الله عليه وسلم بسيوف الله (٥).

و ازدهرت العلاقات بين الشعبين حينما انبثق النور الالهي من غار حراء و بدأ ينشر أضواءه في أقطار شبه القارة الهندية المختلفة لأن الوثائق التاريخية تدل على أن الاسلام قد كان وصل مع التجار العرب إلى "مليبار" في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، و إن علاقة العرب بمسلمي الهند بل بجميع المسلمين في العالم ترتبط بالقرآن منذ نزوله و لغة القرآن الفصيحة هي أقوى روابط المسلمين في جميع العالم.

و كان العرب يرتبطون بالهند بالعلاقة الروحانية أكثر من البلاد الأخرى فقال صاحب كشف الظنون نقلا عن الملل و النحل: "إن كبار الأمم أربعة: العرب و الحجج و الروم و الهند، ثم إن العرب و الهند يتقاربان على مذهب واحد، و أكثر

ميلهم إلى تقرير خواص الأشياء و الحكم بأحكام الماهيات و الحقائق و استعمال الأمور الروحانية، و العجم و الروم يتقاربان على مذهب واحد، و أكثر ميلهم إلى تقرير طبائع الأشياء و الحكم بأحكام الكيفيات و الكميات و استعمال الأمور الجسمانية" (٦).

و بدأت العلاقات السياسية بين البلدين منذ القرن السابع حينما فتح محمد بن قاسم الثقفي الهند عن طريق السند سنة اثنتين و تسعين للهجرة، و برزت ظاهرة الروابط الأدبية بين الشعبين لما نُقل كثير من الكتب السنسكريتية إلى العربية في العهد العباسي، فنكر ابن النديم في فهرسه مايزيد عن عشرين من الكتب المترجمة فمنها: كتاب سندباد الكبير، و كتاب بوداسف (٧) و كتاب في الآداب لشاناق - أي جانك - و كتاب في فرندات السيوف و نعتها و صفاتها و رسومها و علاماتها وغيرها من الكتب التي رُوّدت الأدب العربي بالروافد الهندية في الأدب و الفلسفة (٨)، و كتاب كلية و ممنة الذي كان أصله سنسكريتيا له تأثير خاص في إنتاجات الأدب العربي. و بهذه التراجم تطور النشاط الأدبي بين العرب و الهند، و كثر عمل التأثير و التأثر بين الأدب العربي و الآداب الهندية.

و تأثرت لغات الهند باللغة العربية و آدابها أكثر من تأثر لغات البلدان الأخرى و إن الشعب الهندي لم يتخصص في اللغة العربية فحسب بل قتم عدد من أبنائه أعمالا جلية استفاد العرب أنفسهم منهم و دهشوا بمساهماتهم الجبارة في اللغة العربية فاعترفوا ببراعتهم العلمية، فنرى في طليعة اللغويين البارعين في الهند حسن بن محمد الصفاني اللاهوري (المتوفى سنة ١٢٥٢م) فقال الذهبي يعترف بنبوغه العلمي: "و إن إليه المنتهى في اللغة" لما ألف "العُباب الزاخر و اللباب الفاخر" و اعتبره السيوطي حامل لواء العربية.

أساسات الهندية العربية من حسن الأدب العربي الحديث

و العلاقة السياسية بين الشعبين توثقت كثيرا منذ بداية العصر الحديث لان أهداف البلدين اتفقت في مبادئ الحركة الوطنية فكان العرب يعانون من الاستبداد الاستعماري، كذلك أهل الهند أيضا كانوا تحت ضغط الحكم البريطاني، فالعلاقات بين الهند و مصر و المراسلات المستمرة بين الزعيمين مهاتما غاندى و سعد زغلول هي أكبر دليل على التعاون و التنسيق بين حركات التحرر الوطنية، و هذه الرابطة تجتبت مرّة ثانية بين الزعيمين جمال عبد الناصر و جواهر لال نهرو فقال السيد بطرس غالي - الأمين العام في هيئة الأمم المتحدة - إننى لازلت أنكر كلمات جمال عبد الناصر تابينا لصديقه نهرو و أقتبس: "قد كان نهرو الشعلة التي تضى الطريق ليس للهند فحسب بل للقارة الآسيوية و للانسانية جمعاء" (٩).

و هذه العلاقات السياسية لم تكن ممثلة فقط في حركة الحرية و إنما هي أثرت في الأدب العربي حتى يُشارك عديد من الشعراء و الأدباء العرب و الشعب الهندي أفراده و آلامه فنجد أولا جنور هذه الروابط في "الشوقيات" للشاعر العظيم أحمد شوقي (١٨٦٨ - ١٩٣٢م) فنظم قصيدة بعنوان: "مولانا محمد علي" و هو كبير زعماء المسلمين في الهند و لم يأل جهدا في مكافحة الاستعمار البريطاني على الصعيد العالمي و توفى سنة ١٩٣١م و دفن بالقدس، و قد أقيمت له في القاهرة حفلة التابين فألقى فيها الشوقي قصيدة من أبياتها: (١٠)

بيت على أرض الهدى و سمائه	الحق حائطه و أس بناثه
الفتح من أعلامه و الظّهر من	أوصافه و القدس من اسمائه
ياقدس! هيّ من رياضك ربوة	لنزيل تربك، و احتفل بلقائه

بطلّ حقوق الشرق من أحماله
لم تنسه الهند العزيزة رقّة
النيل يذكر في الحواث صوته
قل للزعيم محمّد: نزل الأسي
فمشى إليك بجفنه و بدمعه
و قضية الاسلام من أعبائه
للشرق أو سهرًا على أشيائه
و الترك لا ينسون صدق بلائه
بالنيل و استولى على بطحائه
و إلى أخيك بقلبه و عزائه

أراد بأخيه مولانا شوكت علي و قد آلت إليه زعامة المسلمين بعده، و قال
أحمد شوقي قصيدة أخرى يمدح فيها غاندي حين مروره بمصر سنة ١٩٣١م في
طريقه إلى مؤتمر المائدة المستديرة بلندن و هي تحتوي على تسعة و ثلاثين
بيتاً فمنها: (١١)

بنى مصر ارفعوا الغار
و أتوا واجبا و اقضوا
أخوكم في المقاساة
و في التضحية الكبرى
و في الجرح و في الدمع
و في الرحلة للحق
قِفُوا حَيَّوهُ مِنْ قَرَبِ
و غَطُّوا الْبَرَّ بِالْأَسِ
و نادى المشرقُ الاقصى
دعا الهندوس و الاسلا
سلام النيل يا غنّدى
و حيّوا بطول الهند
حقوق العلم المفرد
و عرك الموقف النكد
و في المطلب و الجهد
و في النفس من المهّد
و في مرحلة الوفد
على الفلك و من بُعد
و غطّوا البحر بالورد
فلبّاه من اللحد
م للالفنة و الود
و هذا الزهر من عندى

العلاقات الهندية العربية من خلال الأدب العربي الحديث

و إن كثيرا من الشعراء العرب اعجبوا بشخصية غاندى و نظموا بعض الأناشيد تحية له فقال الشاعر شفيق حنا بمناسبة احتفاله المنوي قصيدة،
فمن شعرها: (١٢)

أنجبت غاندى أنتِ يا هند فولدت بين المجد يا هند

و نظم محمد أحمد أبو عافية في احتفال ميلاده أبياتا فمنها: (١٣)

إسمع يا قارى من عندي قصة غاندى

زعيم من الشعب الهندي و للأزل خالد نكراه

و هذه القصيدة كتبت بغير مراعاة قيد التفاعيل.

و قال محمود شاور ربيع يذكر غاندى و نهرو في رثاء الدكتور ذاكر حسين
رئيس الهند السابق: (١٤)

و غدا الجميع أحبة قد لفهم و دّ و ضمتهم إليك أو اصرر

و كأنما غنّدي و نهرو أشرفا في نور وجهك فاهتدى بك حائر

و من شخصيات الهند الشهيرة في الشعر رايبندرناث طاغور (١٨٦١-١٩٤١م)
الذي حاز جائزة "نوبل" لمجموعته الشعرية "جيتانجلي" و ظلّ يعرف في أدب
العالم العربي و الأوربي، فقال سيد قطب في النقد الأدبي يتأثر بشاعرية طاغور:
"فنحن مع طاغور في عالم راضٍ سمح وود متجاوب، متجانس حنون، و في كون
تمسك أطرافه و تجمع عناصر خيوط رفيعة عميقة سارية كأنغام الموسيقى
في اللحن الكبير" (١٥) و قال أيضا: "إن كل لحظة في عالم طاغور و أمثاله
النادرين هي جزء غير منفصل عن الكل الكبير، و أنه يقودنا بخفة من نقطة

البدء المحدودة إلى العالم المطلق وراء الزمان و المكان" (١٦) و قدّم قَطَّب في كتابه ثلاثة نماذج من شعره يترجمها إلى العربية فمنها قول طاغور في مقطوعة: (١٧)

"لماذا انطفأ المصباح؟

لقد سترته بعباءتي لأحميه من الريح، لهذا انطفأ المصباح!

لماذا ذبلت الزهرة؟

لقد ضممتها إلى صدري في لهفة المحب، لهذا ذبلت الزهرة

لماذا جف الجدول؟

لقد بنيت خزاناً عبر الجدول لاستفيد منه وحدي، لهذا جف الجدول!

لماذا انقذ وتر الناي؟

لقد حاولت أن أوقع عليه لحناً فوق احتمالته، لهذا انقذ وتر الناي!

أنظروا إلى عواطف الشاعرة آمال الشامي من صنعاء اليمن تعبر عن

حبها للهند و للشاعر العظيم طاغور: (١٨)

تحية صادقة أرقها للهند ذات السمعة المشرفة

والهند إن الله أحبها فخصها بالعلم أو با لفلسفة

تراثها تاريخها ممجد و رمزها فيها المهاتما خلفه

تاجور ما أحبه في شعره إله أحاسيسي و نفسى المرهفة

و الأستاذ الشاعر محمود خليفة غانم صاحب نبرة متميزة يعدّ من كبار

العلاقات الهندية العربية من خلال الادب العربي ١

الشعراء و قد نظم قصيدة مطولة رائعة عن الهند يذكر فيها ما رآه من الآثار الجميلة و فنون و آداب الهند كشاعر و دبلوماسي كبير بالسفارة المصرية بنيو دلهي و هذه المطولة تشتمل على ثلاثمائة و خمسة عشر بيتا و أسلوبها و خيالها من الناحية الأدبية في غاية الروعة و هي تحية أدبية عظيمة للهند و شخصياتها الأدبية فيقول فيها: (١٩)

أنا في الهند مغترب	تعانق همتي الشهب
هنا طاغورنا و أنسى	و شتف سمعى الطرب
أنا قلت لها فيسه	على أوتاره لعسب
و "جامع مسجد" فيها	نسبة الهند و العرب
على ألوان مرمـر	شواهد أنها كتب
أنا من مصر يا يمننا	أنا ابن النيل يقترب
هنا أنفاس رب السيف	من دانت له الكتب
لاقبال هنا صحت	بأسماعى الصدى لزب
سلام الله يا بنجاب	يا كشمير منتخب
فروحى يا همالايا	ترف كأنها الحقب
مولانا آزاد بهـا	جود قوى لها غلب
لوقع كلامه شرر	و يورى ناره الحطب
هنا ساروجنى ناندو	و شعر الحب يحترب

ثقافة الهند

و الشاعر السوري عمر أبوريشة (المولود عام ١٩١٠م) من شعراء البرناسية أنتجت قرانحه الشعرية القصائد المطولة عن الهند حينما قضى سنوات كالسفير السوري في الهند و له قصيدة تشتمل على مسرحية باسم "تاج محل" و له مطولة شعرية باسم "كاجوراؤ" قالها عام ١٩٥٦م، فقال الشاعر يتأثر بمعبد كاجوراؤ:(٢٠)

كاجراو عفوك ليس لي	منى على حلمى انتمان
أولى فأولى أن تموت	طيوفه خلف الجفان
لا تسألن فلن أجيب	و ظن بي ما أنت ظان

و قال خليل مطران يصف الهند:(٢١)

في مدنها طبعوا حديد	السيف و ابتدعوا الفرندا
هي موطن السحر الحلا	ل و في اسمها السمر المفدى
من يدع هندا يعن من	أسنى معانى الشعر عدا

و في العصور الاخيرة تعرّف العالم العربي على شخصية إقبال و فكره و صنّفت كتب كثيرة في العالم العربي عن فلسفة اقبال و أناشيده، فأول من قام بنقل آثاره إلى اللغة العربية هو عبد الوهاب عزام، و من كتب إقبال التي نقلها عزام إلى أناشيد اللغة العربية : رسالة الشرق (ببام مشرق) طبعها مجلس إقبال عام ١٩٥١م و "ضرب الكلیم" طبع في القاهرة سنة ١٩٥٢م و ديوان الأسرار و الرموز (أسرار خودی و رموز بی خودی) و كذلك ترجم منظومة "مسجد قرطبة" باسم "إقبال في مسجد قرطبة" (سنة ١٩٥٥م) و صنف عزام كتابا عن فكر إقبال و فنه و سماه: "محمد إقبال و سيرته و فلسفته" (١٩٥٣م)

العلاقات الهندية العربية من خلال الأدب العربي الحديث

و إن كتاب "روائع اقبال" للشيخ سيد ابي الحسن على الندوي هو أول كتاب عربي في الهند الذي عرّف بإقبال في العالم العربي بطريق أمثل و دعاه إلى تاليفه الكاتب العربي الكبير الشيخ علي الطنطاوي كما قال الطنطاوي في خطابه إلى أبي الحسن الندوي:

"و لقد كنت ممن دعا الأستاذ أبا الحسن إلى تاليف كتاب "روائع إقبال" ذلك أننا مازلنا نسمع إقبال، و بأن له شعرا علا فيه حتى وصل إلى طبقة من الشعراء من يصل إليها، أو يحلق فيها ثم نقراً ما ترجم منه فلا نجد فيه مصداق ما سمعنا، و رأيت أن أقدر ممن يستطيع أن ينقله إلينا أبو الحسن، لأنه متمكن من اللسانين، أديب في اللغتين: في العربية و في الأريية، و صر الكتاب و إذا هو لم يترجم قصائد إقبال و لكن لخصها، و لولا أن أغضب أبا الحسن - و أنا واثق أن الحق لا يغضبه إن شاء الله - لقلت إننا لانزال في حيرتنا نردد سؤالنا و ننتظر من ينقل شعر إقبال إلينا" (٢٢).

و يثبت من عبارة الطنطاوي أن عالم العرب لا يزال يشتاق إلى روائع آدابنا و ينتظر منا أن ننقل بدائع آثارنا.

و يأتي بعده حسين مجيب المصري الذي ألف كتبا كثيرة حول فلسفة إقبال فمن كتبه: "إقبال و العالم العربي" (١٩٧٦م) و "إقبال و القرآن، دراسة قرآنية مقارنة" (١٩٧٨م) و "إقبال بين المصلحين الإسلاميين" (١٩٧٩م).

و قال مجيب المصري يعترف بعبقرية إقبال و ثقافته الواسعة:

"و ليس بخاف أن إقبالا هو عبقرى الفكر و الروح في عالم الاسلام الحديث، متزوّد زاده من ثقافات الشرق و الغرب، ففهمه حقّ الفهم لا يتأتّى في يسر و هينة، لأنه مستوجب من متهمّه أن يكون من أولى العلم و أهل التحصيل

ثقافة الهند

و لا نعرف أن مثل صفاته تلك قد جرت على أحد في السالفين و لا في الخالفين، فليس بد من شروح تطول ما تطول، و من الحتم أن يطوف شارحه بما فاضت به الروح و أكده العقل في المشارق و المغارب" (٢٣).

و إن الجامعات و الدوائر العربية الاسلامية أو العصرية في الهند لها دور كبير في تعزيز العلاقات الهندية العربية كما نشاهد من هذه المراكز في أرض الجنوب "الجامعة النظامية" التي تخرّج منها أمثال الأييب الشيخ سيد ابراهيم الرضوى و مولانا أبو الوفاء الأفغاني و الدكتور محمد حميد اللّٰه وغيرهم و دائرة المعارف العثمانية، فلكتثرة شيوع مطبوعاتها في البلدان العربية يعرف كثير من الباحثين العرب حيدرآباد بواسطة هذه الدائرة.

و إن الجرائد و المجلات الأدبية العربية الصادرة من العرب و الهند أصبحت أكبر وسيلة لتعزيز هذه العلاقة بين الشعبين، و أشهر المجلات التي لعبت و تلعب دورا هاما في مجال الرابطة الأدبية هي "الرابطة الشرقية" و "صوت الشرق" الصادر من مصر، و مجلة "ثقافة الهند" الصادرة من نيودلهي وغيرها من المجلات العربية.

و يحسّ الرجال من الهند و العرب في كل زمن من الأزمان أن تُعزّز هذه الرابطة على الصعيد العالمي فقال الأستاذ محمد الهياوي عن هذه العلاقة:

"و لا بدّ لهذه الرابطة الشرقية أن تقوم على قواعدها الصحيحة من مشاكلة الروح القومي في كل شعب لمثله في غيره من الشعوب و لا بدّ لهذه المشاكلة أن تتواصل الشرق بأدائها و تتهادى بفنونها و تلمّ جماعات من طوائفها المتعلمة بلغاتها المختلفة" (٢٤).

العلاقات الهندية العربية من خلال الأدب العربي الحديث

الهوامش:

- ١ - سبحة المرجان في آثار هندوستان لغلام علي آزاد البلغرامي: ٩/١
- ٢ - الدر المنشور في تفسير سورة الأحقاف.
- ٣ - تاريخ الطبري.
- ٤ - سبحة المرجان: ٢٧/١
- ٥ - البعث الإسلامي، العدد ٥، المجلد ٣٦، ١٤١٢هـ.
- ٦ - كشف الظنون: ٢٨/١.
- ٧ - بوداسف: بودهي ستو Budhisattava .
- ٨ - راجع التفصيل في: عربي لتريجر مين قديم هندوستان لخورشيد فاروق: ص ٣٧، ٣٨.
- ٩ - ثقافة الهند المجلد ٤٥، العدد ١٩٩٤م.
- ١٠ - الشوقيات لأحمد شوقي: ١٢ / ٣.
- ١١ - نفس المصدر: ٨٣/٤ - ٨٥.
- ١٢ - مجلة صوت الشرق، العدد ١٨٨، كانون أول ١٩٦٩م.
- ١٣ - نفس المصدر، العدد ٢٢٨، تشرين ثاني ١٩٧٣م.
- ١٤ - نفس المصدر: العدد ١٨٥.
- ١٥ - النقد الأدبي لسيد قطب : ٢٣.
- ١٦ - نفس المصدر: ٢٧
- ١٧ - أيضاً : ص ٣٠.
- ١٨ - مجلة صوت الشرق العدد ٢٢٨، تشرين ثاني ١٩٧٣م.
- ١٩ - "النيل في الهند" في مجلة ثقافة الهند، المجلد ٤١، العدد ١ ص ٢٠٢ - ٢٢٤.

ثقافة الهند

٢٠ - مختارات عمر أبي ريشة و الشعر الحديث في الاقليم السورى: ص ٢٤١ - ٢٢٢.

٢١ - ديوان خليل مطران : الجزء الثاني.

٢٢ - مجلة المجمع العلمي الهندي، اكتوبر ١٩٩١م.

٢٣ - إقبال و القرآن: ص ٢٦

٢٤ - الرابطة الشرقية، القاهرة، فبراير سنة ١٩٢٩م.

